

• السيطرة الفاطمية على مصر

لماذا اهتم الفاطميون بفرض سيطرتهم على مصر ؟

لأهمية موقعها الجغرافي من الناحيتين السياسية والعسكرية لكونها تتوسط العالم الإسلامي، مما يتيح لهم فرصة الاستيلاء على المدن الإسلامية المهمة كمكة والمدينة ودمشق بل وبغداد نفسها حاضرة الخلافة العباسية، فضلا عن وفرة ثرائها، ولأن السيطرة عليها تؤدي إلى زيادة رقعة املاك الفاطميين في المشرق الإسلامي) لأن هذا يعد من الأهداف الرئيسية التي ما سعى الفاطميون لتحقيقها، فلم تكن مطامحهم مقتصرة على تكوين دولة في اقليم معين من العالم الإسلامي كما هو شأن الدويلات الإسلامية الأخرى ، بل كانوا يهدفون الى تكوين دولة تشمل العالم الإسلامي بأكمله، ومن هنا نراهم يحاولون السيطرة على مصر منذ ايامهم الأولى لتكون قاعدة لدخول المشرق ، فقد ارسل المهدي الفاطمي (٢٩٧- ٣٢٢ هـ / ٩٠٩-٩٣٣ م) ثلاث حملات برية للسيطرة عليها الا انها فشلت في تحقيق مهامها لأنها كانت تعتمد على أقوات تلك البلاد كمؤن لها فضلا عن أن الخلافة العباسية كانت من القوة بحيث تستطيع أن تصد تلك الحملات

الا أن حملات الفاطميين على مصر انقطعت خلال المدة الباقية من خلافة القائم بأمر الله وطوال عهد المنصور بالله، بسبب ثورة ابي يزيد الخارجي واتباعه الزناتيين).

وعندما آلت الخلافة الى المعز لدين الله بذل المعز جهود حثيثة لفتح مصر ابان تولي كافر الاخشيدي الحكم فيها، فقد ارسل الدعاة إلى مصر، واخذ البيعة من كبار القوم وعمل الداعي ابو جعفر احمد بن نصر على استئجار دار خصصها لأخذ البيعة للمعز الفاطمي) ويظهر أن الدعاة الفاطميين كانوا قد تمكنوا من العامة في مصر فوجهوا جهودهم بعد ذلك إلى رأس الدولة حين قاموا بدعوة كافر لبيعة المعز، لكنه أبى "رفض" ذلك بتطلف وربما يعود ذلك لسياسة مرنة اتخذها كافر قوامها الولاء للعباسيين والدعوة لهم ومحابة الفاطميين ليأمن خطرهم، وكانت غايته من ذلك الحفاظ على استقرار الأوضاع في البلاد.

شرع المعز بعد رفض كافور للدعوة، يتوجه قواته نحو مصر فوصلوا الواحات فتصدى لهم كافور وابعدهم عنها ويبدو انها كانت حملة أراد منها المعز معرفة مدى قوة خصمه والواقع أن وجود كافور كان يشكل عائقا حقيقيا امام الفاطميين في السيطرة على مصر) فعندما استعد المعز للهجوم على مصر للمرة الثانية، سألته أمه أن يؤجل ذلك ريثما تعود من الحج فاستجاب لرغبتها، وما أن وصلت إلى مصر، حتى علم كافور بمقدمها فاحسن وفادتها وسير جنده لخدمتها، فسألت ولدها بعد عودتها ان لا يقدم على مهاجمة مصر عرفانا بالجميل) فأطاعها لكنه لم يلغى الفكرة من رأسه بل راح يستعد لها بتهيأة الطرق بين المغرب ومصر، وحفر الآبار، ووضع القناطر على مجاري الأودية، واقامة المنازل لسكني الجند على رأس كل مرحلة وتخزين الأرزاق والمؤن للجند والدواب

كانت هذه الاستعدادات المادية، أما من الناحية المعنوية فقد اخذ المعز يحث رجال دولته و يستنهض همهم للسيطرة على مصر لما بلغته من انحلال .

وقد سنحت الفرصة أمام المعز الفاطمي للسيطرة على مصر بعد أن شهدت سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧م وفاة أميرها كافور فعمت الفوضى مصر فلم يكن هناك حاكم قوي يستطيع أن يقبض على زمام الأمور بيده) واصبحت ادارة البلاد منوطة بالوزير جعفر بن الفرات الذي استبد بالحكم وقضى على كبار الموظفين واصحاب الرأي وصادر أملاكهم وعلى الرغم من شدته فانه لم يستطع اقرار الأمن وتخفيف ما حل بالأهالي من المصائب والويلات ، فالحالة المالية كانت سيئة إلى أبعد الحدود لاسيما وان الدولة كانت عاجزة عن جمع الضرائب ودفع رواتب الجند فضلا عما انتاب البلاد من بؤس وغلاء وانخفاض في مستوى النيل وما رافق ذلك من قحط ومرض .

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت المعز في السيطرة على مصر هو ضعف الخلافة العباسية التي لم تعد قادرة على إرسال قواتها لصد الحملة الفاطمية كما كان في السابق نتيجة تسلط الحكام البويهيين على خلفائها من جهة وقيام قوات معادية لها في الشام وسعيهما للحيلولة دون وصول جيوشها إلى مصر وهكذا أضحت مصر نتيجة الضعف السياسي والاقتصادي الداخلي وعدم إمكانية وصول الإمدادات اليها من العباسيين، عاجزة عن صد أي غزو يأتيها من الخارج، ومما ساهم في تسهيل مهمة السيطرة على مصر أن المعز كان على علم تام بأحوالها عن طريق دعاة وعيونه، بل ومن خلال كبار

المسؤولين المصريين امثال يعقوب بن كلس الذي التجأ إلى المغرب هرباً من بطش جعفر بن الفرات، واطلع المعز على سوء الوضع الداخلي في مصر وبين له نقاط الضعف فيها.



وبعد أن توافرت كل هذه الظروف المشجعة جهز المعز جيشه وقال: ((والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، وليدخلن مصر بسهولة من دون حرب...)). ويبدو أن وراء قول المعز أمراً عدة لعلنا نستطيع ان نستشف منه زرع الثقة بقائده وجنده..

ضعف مصر ما بين عززها عن القتال ورغبتها بالفاطميين.

وكان المعز قد اتخذ خطوة ايجابية باتجاه السيطرة على مصر، حيث بادر بأعداد الاموال اللازمة لإنفاقها على الحملة المزمع تسييرها نحو مصر فجبى جوهر من البربر مبلغاً قدره خمسمائة الف دينار، وسار المعز بنفسه في الشتاء الى المهديّة واخرج من قصور آبائه من الأموال ما مقداره خمسمائة حمل من الدنانير ثم رجع الي قصره) واتبع خطوته الأولى بخطوة أخرى في اعداد جيش كبير زوده بالعدة والعدد، حتى بلغ مائة الف مقاتل معظمهم من شجعان كتامه) كما فوض المعز قائده جوهر الصقلي بصرف مبلغ قدره اربعة وعشرون الف دينار على شكل عطايا وهبات على الجند ويبدو أن الجيش قد ابهر بعض الرجال، لاسيما الشريف أبا جعفر مسلم الحسيني الذي وصفه بقوله: (مثل جمع عرفات كثرة وعددا) كما وصفهم ابن هاني شاعر المعز، بقصيدة طويلة مطلعها:

رأى بعيني فوق ما كنت اسم وقد راعني يوم من الحشر آروع عداة كأن الأفق قدس
بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

ثم قام المعز بإرسال أعلام إلى دعائه بمصر، امرهم أن يوزعوها على من يبائع من
الجند، لينشروها فور وصول جوهر وجيشه إلى هناك

وبعد أن استكملت الاستعدادات المادية والمعنوية في المغرب مصر جاءت ساعة
الحسم فخرج المعز لوداع جيشه، وقد أمر أولاده ورجال دولته بالترجل بين يدي جوهر عند
وداعه امر صاحب برقه بان يترجل لجوهر وتحرك جوهر بالجيش الفاطمي من القيروان
في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٣٠٨ هـ/٩٩٨ م تصحبه بعض القطع البحرية
فاستولى على الإسكندرية ومنع جنوده من التعرض لأهلها بسوء واضطرب اهالي
الفسطاط حال سماعهم باستيلاء جوهر على الإسكندرية، فعقد الوزير جعفر بن الفرات
مجلسا لمناقشة الوضع توصلوا بعده إلى التفاوض مع جوهر للحصول على أمان على
أرواحهم وممتلكاتهم، وندبوا الوزير نفسه لهذه المهمة، فأناوب عنه الشريف أبا مسلم
الحسيني ومعه جماعة من وجوه القوم فالتقي اعضاء الوفد بجوهر عند مدينة تروجه(فقبل
عرضهم وعقد الصلح ومنحهم الأمان الذي جاء في صدارته أن القوات الفاطمية جاءت
إلى مصر لحمايتها وليس لغزوها ثم عرض برنامجه الإصلاحى الذي تضمن اقامة شعائر
الحج، واصلاح الطرقات، والعمل على استباب الأمن، وتوفير الأقوات، واصلاح العملة،
ومنع الغش، ونشر العدل، وترميم المساجد وتأثيثها ودفع رواتب القائمين بالخدمة فيها من
عمال ومؤذنين وائمة من بيت المال، كما ضمن للمصريين حرية العقيدة مؤكدا حريتهم في
البقاء على مذهبهم السني

عاد اعضاء الوفد في السابع عشر من شعبان الي الفسطاط يحملون عقد الصلح
والأمان، وقاموا بعرضه على الوزير ابن الفرات، فلم تقبله فئة من الجندة(ويظهر أن
هؤلاء لم يكونوا طرفا في المجلس الذي بادر الى طلب الصلح والأمان من جوهر وبذا لم
يكونوا ملزمين تجاه ما توصل اليه الطرفان (الوفد وجوهر) من اتفاق، وربما يرجع رفضهم
لان الجندية هي مصدر رزقهم وهيبتهم ونفوذهم فعز عليهم أن يستولي جوهر على مصر
بهذه السهولة ويزول نفوذهم بين عشية وضحاها، بدخول الفاطميين الى بلادهم، فاتجهوا
للقوف بوجه جوهر وأثروا الاحتكام الى السيف، ويظهر ذلك بقولهم: (ما بيننا وبين جوهر

الا سيف) فذهبت جهود الوفد ادراج الرياح، واستعد هؤلاء للقتال وجعلوا على قيادتهم تحرير شوبزان وعسكروا في الجيزة ؟) فتقدم جوهر نحو الفسطاط واوكل الى قائده جعفر بن فلاح الكتامي امر قتالهم قائلا له: (لهذا اليوم ارادك المعز) فاشتبك معهم جعفر وهزمهم، ولانوا بالفرار إلى الشام بعد أن اخذوا ما خف حمله من اموال و متاع فعاد الخوف والذعر في البلاد تحسباً من ردة فعل جوهر، فهرع أهالي الفسطاط يطلبون من الشريف ابي جعفر مسلم ان يكاتب جوهر ثانية ليعيد عهد الأمان، فكتب اليه يهنئه بالنصر ويسأله تجديد الامان، فأجابه الى طلبه واذا ع على جنده منشورة منعهم فيه من القيام باعمال السلب والنهب والعنف في البلاد، فعاد الاستقرار والهدوء الى الفسطاط مرة أخرى وخرج ابو جعفر مسلم ومعه الوزير جعفر بن الفرات وسائر الأشراف والقضاة والعلماء والأعيان الى الجيزة لاستقبال القائد الفاطمي، ودخل جوهر عاصمة البلاد في السابع عشر من شهر شعبان سنة ٣٥٨ هـ/٩٩٨م وخطب للمعز على منابر الفسطاط في يوم الجمعة، العشرين من الشهر نفسه وهكذا خضعت مصر للدولة الفاطمية ونبذت طاعة الخليفة العباسية) وابرق جوهر الى مولاه المعز يزف له البشري ويعلمه الخبر، فأبدى الخليفة الفاطمي عظيم فرحة وسروره لتحقيق هذا الأمر وقد انشد ابن هاني بهذه المناسبة قصيدة جاء في مطلعها:

تقول بنو العباس: هل فتحت مصر فقل لبني العباس: قد قضى الأمر وقد جاوز الإسكندرية جوهر تصاحبه البشري ويقدمه النصر وقد أوفدت مصر اليه وفودها وزيد الى المعقود من جسرهما جسر

وبذلك يمكننا القول ان الفضل في ضم مصر إلى النفوذ الفاطمي يعود بالدرجة الأساس الى المعز لدين الله فكان لرؤيته الواضحة والدقيقة للأوضاع التي تمر بها مصر والخلافة العباسية فضلا عن استعداداته المادية والمعنوية وثقته التامة بجنده وقادته واختياره الوقت المناسب، الأثر الأكبر في تحقيق هذا الانجاز.

بلاد الشام

دعت الضرورة السياسية والعسكرية الفاطميين، بعد أن تم لهم السيطرة على مصر، التوجه صوب بلاد الشام، كونها تمثل خط الدفاع الأول لمصر تجاه غارات القرامطة ولوقوعها على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب مما يشير إلى وجود علاقات

تجارية مشتركة بين البلدين (مصر وبلاد الشام، فضلا عما تمثله الشام من طريق مباشر إلى بغداد - حاضرة العباسيين . لذا ارسل جوهر جيشا الي هذه البلاد بقيادة جعفر بن فلاح الكتامين، فوصل الي هناك أوائل سنة ٣٥٩ هـ / ٩٩٩ م وكان الحسن بن طغج الإخشيد يتولى أمورها آنذاك، ولم تكد تصل انباء سير هذه الحملة اليه حتى أخذ يعد العدة لصدها، فخرج من دمشق قاصدا الرملة حيث كان الجيش الفاطمي متوجها اليها واستخلف شمولا الإخشيدي على دمشق فلما وصل إلى هناك وردت اليه الأخبار بزحف القرامطة على بلاد الشام، وانهم وافوا الرملة، فخرج لقتالهم، وحلت به الهزيمة في بادئ الأمر ثم صالحهم على أن يدفع لهم سنويا مبلغا قدره ثلاثمائة الف دينار رابط بعدها الحسن بن طغج بظاهر الرملة مدة ثلاثين يوما ليتصدى للفاطميين وارسل الي نائبيه في دمشق وبيت المقدس يسألهما النصر، بعد أن بان النقص في جيشه نتيجة حربه مع القرامطة، فخذلاه وتقاعسا عن نصرته. : أما الجيش الفاطمي فبعد وصوله إلى مشارف الرملة، أخذ قائده جعفر بن فلاح بمراسلة ولاية الشام - قبل الاشتباك مع الإخشيديين - يدعوهم إلى الدخول في طاعة المعز الفاطمي، فاستجاب بعضهم ورفض البعض الآخر، فلما وقع القتال بين الفريقين كانت الغلبة للفاطميين، واصر الحسن بن طغج ومعه عدد كبير من قادته وجنده، ثم سيق إلى القسطنطينية ومنها اقتيد إلى المغرب حيث بقي هناك حتى مات سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م

ولما استولى جعفر بن فلاح على الرملة، قام جنوده بنهب المدينة، فقصده النابلسي الزاهد وطلب اليه أن يمنع جنوده من ذلك فاستجاب لطلبه ثم سار جعفر الى طبرية بعد أن استخلف ولده على الرملة وكان يلي امورها ابن ملهم من قبل كافور الإخشيدي، فلما بلغها خافه ابن ملهم وعلامه فاتك ولم يتعرض له، وبذلك تيسر لجعفر دخول طبرية دون مقاومة تذكر من أهلها واقيمت الخطبة للمعز الفاطمي فيها ثم واصل سيره إلى دمشق فاستولى في طريقه على حوران والبتتية حيث كان يقيم بها بنو عقيل المواليون للإخشيديين يتزعهم ظالم بن موهوب العقيلي، فعمل جعفر على استمالة قبائل فزارة ومرة واتفق معهم على محاربة بني عقيل، واستطاع بمن انظم اليه من هذه القبائل ايقاع الهزيمة ببني عقيل وتعقب فلولهم حتى حمص، ثم عاد الى غوطة دمشق حيث امتدت ايدي المغاربة لسرقة الأموال منها بطريق عودتهم، ثم نزلوا بظاهر دمشق

ولما بلغ أهالي دمشق نبأ استيلاء جعفر على طبرية وإيقاعه الهزيمة ببني عقيل في حوران والبتنية ومسيره الى بلدهم شكلوا وفدا من كبار رجالهم وذهبوا للقاءه، الا انه لم يحسن استقبالهم فاضطروا للعودة بعد أن نهبت أموالهم، فبسطوا ألسنتهم بزم المغاربة وهذا يعني أن جعفر اراد ان يدخل دمشق بقوة السلاح ليظهر الأهلة قوة الفاطميين وليكون ببسط سيطرته عليها قد اخضع الشام كله لحكم الفاطميين، و كان اجراء مفاوضات مع اهالي المدينة بقصد دخولها امراً مستبعدة بالنسبة اليه، لذا أصدر أوامره بدخول دمشق، فثار أهلها واشتبكوا معه في حرب طاحنة، انهزموا فيها، واقيمت الخطبة للمعز الفاطمي في دمشق سنة ٣٥٩ هـ/٩٩٩م وقطعت الخطبة للعباسيين

وعلى ما يبدو أن جعفر لم يحكم السيطرة على دمشق فسرعان ما ثار أهلها مستغلين ذهابه إلى الرملة فنذبوا دعوة الفاطميين واعادوا الخطبة للعباسيين مما اضطره للعودة إلى دمشق واشتبك معهم بقتال فأضرم النار في محلاتهم واسواقهم واشتد القتال بين الطرفين ولم يتمكن الثوار الصمود بوجه قوات جعفر بن فلاح، فانهزموا الى داخل المدينة، ولما رأى أهالي دمشق ما حل بهم من دمار على يد الفاطميين، ندبوا وجهائهم لطلب الأمان وعقد الصلح، فذهبوا لمقابلة جعفر للمطالبة بذلك، واصلاح مدينتهم التي خربت، فسير اليهم من يسلبهم ثيابهم، فكان لهذا العمل اسوء الاثر في قلوب الدمشقيين لكن جعفر ظل يلاحق اهالي دمشق وجندها واحداثها ويلحق بهم الأذى، فاضطروا لإرسال وفد آخر لمقابلته وطلب الأمان، فلما مثلوا بين يديه اعتذروا له وطلبوا عفوهم، وما زالوا به يترجوه، حتى قال لهم: (ما اعفو عنكم حتى تخرجوا نساءكم مكشوفات الشعور، فيتمرغن في التراب بين يدي الطلب العفو، فقالوا له: نفعل ما يقول القائد فهدأت ثائرتة وتبسط في الكلام معهم ودخل بعدها المسجد هو وأصحابه، واعادوا الخطبة للمعز الفاطمي سنة ٣٩٠ هـ/٩٧٠م

ولم يكد يعم الاستقرار في دمشق، حتى اطلق جعفر بن فلاح يد جنوده لتعيث فسادا في البلاد تارة أخرى، فانتهكوا حرمة المنازل، وسلبوا ما فيها، مما حمل اهالي المدينة على الثورة ومقاتلة المغاربة للمرة الثانية، وعاد شيوخ المدينة لطلب الأمان منه والكف عن العبث والفساد بمدينتهم فاخذ جعفر يهددهم باستخدام العنف، وهم يلحون عليه بالرجاء، ومازالوا معه، حتى قبل طلبهم على أن يدفعوا دية من قتل من جنوده وكانت كبيره فاجابوه الى طلبه

وإمعانا في كسر شوكة أهالي دمشق راح جعفر يطارد زعمائهم، فقتل منهم اسحاق بن عسودا والقي القبض على علي بن أبي يعلى العباسي وهرب من قبضة محمد بن عسودا وزعيم العقيليين ظالم بن موهوب إلى الاحساء

وعلى ما يبدو أن دعوة الفاطميين كانت هشة في الشام وحتى سياسة قائدهم جعفر كانت مغايرة لما اتبعوه في مصر، فقد اتسمت سياسة جوهر بالمرونة وعدم التعرض للأهالي فضلا عن تجديد الأمان لهم ومنحهم الفرصة للعيش بسلام في بلادهم على الرغم من خروج الجند لمقاتلته في الفسطاط، فيما نلاحظ غير ذلك بالنسبة لجعفر الذي استخدم سياسة تقوم على العنف والشدّة تجاه الأهالي في بلاد الشام. ولعل السبب الذي دفعه إلى ذلك اختلاف الوضع السياسي في هذه البلاد عنه في مصر، فالأخيرة كانت تعيش فراغا سياسيا بموت كافور واعتلاء امير لم يبلغ الحلم لعرشها، فضلا عما كانت تعصف بها من ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة واثّر الدعوة الفاطمية فيها، مما جعلها توجه أنظارها صوب المعز الفاطمي وتطلب منه القدوم لمساعدتها وانتشالها مما هي عليه من وضع مترد لذا يمكن القول أن مصر كانت مهيأة لدخول الفاطميين اليها وبسط سيطرتهم عليها. أما الشام فبعكس ذلك فقد كان على أرضها العديد من القوى السياسية الراغبة في تثبيت نفوذها على أرضها لاسيما القرامطة والروم والعقيليين والحمدانيين وبنو الجراح، لذا كان العمل العسكري بالنظر لوجود هذه القوى أمراً ضروريا لحسم الموقف لصالح جعفر من خلال فرض السيطرة الفاطمية على بقاع عديدة من بلاد الشام ولم يكن الوقت ليسمح أن تأخذ الدعوة مداها في الشام كما هو الحال في مصر، فضلا عن أن جعفر كان يشك في ولاء الشاميين بدليل أنهم نقضوا دعوته بعد ذهابه إلى الرملة ودعوا إلى العباسيين - بتأثير أعمال المغاربة فيهم. لذا لم يكن يرى كقائد عسكري في اللجوء الى لغة التفاهم والسياسة الحل الأنجح هكذا عمل، فعمد إلى القوة لبسط نفوذه على هذه البلاد.

وبسقوط دمشق لم يبق للفاطميين سوى بعض القوى المعادية لهم في بلاد الشام ويأتي في مقدمتها الحمدانيون في حلب وإلى جانبهم ممن التجأ اليهم من انصار الحسن بن طعج الإخشيد، وهناك الروم الذين يتهددون السواحل الشمالية الشرقية للبلاد بين الحين والآخر، فضلا عن قرامطة البحرين الذين كان لهم بعض النفوذ في هذه البلاد منذ أغاروا عليها سنة ٣٥٧ هـ/٩٩٧م

اما الحمدانيون، فقد حاولوا جذب الفاطميين الى جانبهم، وقد سبق لهم ان كتبوا لجوهر يعرضون عليه المساعدة والنصرة في فتح مصر الا أن المعز لدين الله حذر قائده من مغبة محالفة بني حمدان او مراسلتهم او فسخ المجال لهم في قيادة الجيش الفاطمي او امتلاك اعمال للفاطميين قائلا له: (ان بني حمدان يتظاهرون بثلاثة اشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب، يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب، ويتظاهرون بالكرم وليس لهم منهم كرم في الله، ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة، فاحذر كل الحذر من الاستناد إلى أحد منهم) .

ويظهر أن المعز لدين الله أدرك أن الحمدانيين لن يقنعوا بالتبعية له بل كانوا يطمحون الى السيادة والاستقلال، لذا لم يكن الانتماء الشيعي يشكل عاملا للتقرب بين الجانبين، بل كانت المصالح السياسية تفرض نفسها في هذه الأوقات، مما ادي الي وجود علاقات عدائية بين الطرفين ولم يكن تقرب الحمدانيين للفاطميين، واقامة الدعوة للمعز الفاطمي على منابرهم في حلب سنة ٣٩٠ هـ / ٩٧٠ م الا استجابة لحالة الضعف التي لحقت بهم بعد توغل الروم في بلادهم وتغلبهم على حلب . عرين الحمدانيين مما أدى إلى هروب اميرهم سعد الدولة الحمداني (٣٥٦ - ٣٨١ هـ / ٩٦٦٩٩١ م) واضطراره فيما بعد لعقد الصلح مع الروم وفق شروط مهينة في سنة ٣٥٩ هـ / ٩٩٩ م

وامام حالة الضعف والوفاق التي لمسها جعفر بن فلاح من الحمدانيين حاول التخلص من خصمه الثاني في بلاد الشام وهم الروم فسير جيشا بقيادة غلامه فتوح الى انطاكية في ربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م لإخراج الروم منها واستمرت حملاته عليها خمسة اشهر، الا ان الفشل كان مصير هذه الحملات ويبدو أن دقة تنظيم جيش الروم ومعرفتهم بطبوغرافية المنطقة ووقوع المعارك خلال فصل الشتاء وما قد تسهمه رداءة الطقس من ظفر الجانب الروم لتعودهم على هذا الجو، ناهيك عن انشغال الفاطميين بحرب القرامطة في ذات الوقت كانت أسبابه موجبه لفشل تلك الحملات.

كان علي جعفر أن يواجه خطر القرامطة الذين أخذوا يفكرون بمهاجمة الفاطميين في بلاد الشام ويعود السبب في ذلك الي رفض القائد الفاطمي المطالب الحسن الأعصم بدفع الاتاوة التي كان يدفعها الحسن بن طنج الإخشيد لحكومته، فكان لهذا الرفض ابعث الأثر في نفس الامير القرمطي الذي رأى في ذلك قضاء أ على سيادة القرامطة في بلاد الشام

وحرمانهم من ضريبة سنوية كانت تؤدي اليهم فناصرب الحسن الأعصم العداء للفاطميين في هذه البلاد، ووصل الخبر إلى مسامع المعز، فأرسل إليه مهديدا ومغلظة له بالقول بعدم أحقيته بتسلم هذا المنصب، إلا أن الأعصم كان عازمة على مهاجمة الفاطميين فاتخذ أولى الخطوات بحذف اسم المعز من الخطبة في بلاده (أي البحرين) وأقام الخطبة للمطيع العباسي (٣٣٨-٣٦٣ هـ/٩٤٥-٩٧٣م) وليس السواد شعار العباسيين

ثم اخذ بمراسلة الخليفة العباسي المطيع، وعز الدولة باختيار (٣٥٦٣٦٧ هـ/٩٩٩-٩٧٧م) - أمير البويهيين. في سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠م يسألها النصر بالمال والرجال ليتسنى له طرد الفاطميين من بلاد الشام ومصر وليتولى الحكم في هذه البلاد نيابة عن العباسيين إلا أن الخليفة العباسي رفض طلب الأعصم رغم المكاسب التي قد تتحقق من انتصاره على الفاطميين وربما يعود السبب إلى سوء ظنه في القرامطة إذ قال بحقهم: ((كلهم قرامطة وعلى دين واحد، فاما المصريون (يعني بني عبيد) فأماؤا السنن وقتلوا العلماء، واما هؤلاء (يعني القرامطة)، فقتلوا الحاج، وقلعوا الحجر الأسود، وفعلوا ما فعلوا) اما عز الدولة بختيار فكان يرى في وجود الفاطميين في بلاد الشام خطرا يهدد سلطانه في العراق) فأمد القرامطة بالمال والسلاح، وأرسل اليهم الف الف درهم والف جوشن والف سيف والف رمح والف جعبه، ووعد الأعصم بان تحمل له هذه الأموال والعدد حال وصوله إلى الكوفة كما طلب من الحمدانيين بالموصل امداد الحسن الأعصم بالأموال فلقى طلبه قبولا منهم، ولم يكتف عز الدولة بهذه المساعدات فعمل على ايجاد تحالف للحسن في داخل بلاد الشام فتوجه بطلب إلى ابي تغلب ناصر الدولة ابن حمدان امير الحمدانيين في الشام- بضرورة مساعدة هؤلاء، فأرسل إلى الحسن الأعصم في الرحبة اربعمائة الف دينار ومعها قوات من الإخشيدية من الذين هربوا من الرملة بعد دخول الفاطميين إليها- وانظم اليهم بنو عقيل بأمرة زعيمهم ظالم بن موهوب العقيلي، فأصبح الأعصم بانضمامهم إليه اكثر قدرة وقربا لإحراز النصر على خصمه

وامام هذا التجمع والإمكانات اخطر جعفر قائده فتوح بترك قتال الروم وسحب قواته من انطاكية والتوجه إلى دمشق وخرج لمقاتلة القرامطة، وقد استهان بهم، فدار قتال شديد بين الطرفين، بناحية الدكة - على مقربة من دمشق..، كانت الغلبة فيه للقرامطة حيث تمكنوا من هزيمة القوات الفاطمية وقتلوا القائد جعفر بن فلاح وجمع من قواته في سنة

٣٦٠ هـ/ ٩٧٠، تمكن بعدها القرامطة من السيطرة على دمشق، واعطوا الأمان لأهلها).
ويبدو أن الهزيمة التي لحقت بالفاطميين تعود إلى الأسباب التالية:

مرض جعفر بن فلاح قبيل الحرب مما انعكس سلبا على ادائه في المعركة ومن ثم هزيمته وقتله (٤٧٩)

قصور المعلومات الاستخباراتية لديه حول استعدادات القرامطة لخوض المعركة

استهانته بقوة خصمه، فدفع حياته وحياة جيشه ثمنا لغروره وكبريائه (٢٨٠).

ولعل الخطأ الأكبر الذي ارتكبه هو عدم اخبار القيادة في مصر بالخطر المحدق به

والمتمثل بالقرامطة وان كانت هي ايضا قد وقعت في ذات الخطأ لعدم تقديرها الصحيح لقوة الحسن واتخاذ العدة له منذ أن قطع الخطبة للمعز بعد دمشق أخذ الحسن يفكر بالرملة وكان عليها والياً سعادة بن حيان المغربي ففر منها الى يافا عندما بلغه مسير القرامطة اليه، وبدخلهم الرملة، أصبحت معظم بلاد الشام تحت قبضتهم واقاموا الخطبة للمطيع العباسي

قرر القرامطة بعد أن تم لهم السيطرة على بلاد الشام وتعيينهم الولاة عليه التوجه نحو مصر وانضم اليهم جمع من الكافورية وبنو الجراح فهاجموا اواخر سنة ٣٤٠ هـ/ ٩٧٠ م مدينة القلزم (السويس) واسروا واليها عبدالعزيز بن يوسف، واستولوا على عين شمس سنة ٣٤١ هـ/ ٩٧١ م ثم تقدموا باتجاه القاهرة وكان جوهر قد اعد جيشا من المغاربة والمصريين لصد القرامطة، واحتقر خندقا حول القاهرة لتحصينها، فضلا عن قوة ارسلها المعز من المغرب بقيادة الحسن بن عمار، فازدادت بذلك قوة جوهر الحربية في مصر والتحم الجانبان في معركة

على باب القاهرة في مستهل سنة ٣٤١ هـ/ ٩٧١ م، واقتتلوا غير مرة، كان الظفر فيها للقرامطة، ثم ما لبثوا أن انهزموا أمام ثبات المغاربة والمصريين) وانسحب الحسن الأعصم وقواته إلى الرملة فيافا ومنها إلى الاحساء .

واغتتم جوهر النصر الذي حققه في مصر فارسل وراء الحسن جيشا غايته استعادة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام فاستعاد يافا ثم دمشق وكان بها ظالم العقيلي واليا من قبل الحسن الأعصم، فرحل عنها لتعود إلى الفاطميين

لكن القرامطة ظلوا يشكلون قوة يخشى بأسها على النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ومصر، فرغم انسحابهم في ربيع الأول سنة ٣٩١ هـ / ٩٧١ م إلى الشام ومنها إلى الاحساء، إلا أن الحسن الأعصم عاود الكرة، فزحف على بلاد الشام ونزل الرملة واعتقل واليها ظالماً العقيلي وأعد حملة بحرية شحنها بالمقاتلة لإرسالها إلى تينس تتطلق من السواحل الشامية، كما جهز جيشا كبيرا كان معظمه من بني الجراح واخذ يتهيأ لغزو مصر، فأرسل جوهر إلى مولاه المعز يسأله الحضور إلى مصر لتسلم زمام الحكم فيها ومعالجة خطر القرامطة المتجدد

خرج المعز الفاطمي من المنصورية يريد الديار المصرية، فاستقر في سردينية اربعة أشهر جمع فيها شمل أسرته وأمواله ورفاة آبائه واصطحب معه المقربين منه ووحدات من جيشه كان عليهم أن يرافقه، وفوض امر المغرب إلى بلكين الصنهاجي ماعدا صقلية وطرابلس واعمالها فقد بقيتا تابعتين له وتحت إدارة عامليهما ثم سار المعز من سردينية إلى برقه ومنها إلى الإسكندرية، حيث وصلها في شعبان سنة ٣٤٢ هـ / ٩٧٢ م، وكان في استقباله اهل مصر يغمرهم الفرح والسرور، فآكرمهم واحسن اليهم، وخطب فيهم عند منارة الاسكندرية فذكر لهم انه لم يدخل مصر لطمع في اتساع ملكه، اوزيادة في ثرائه، وانما اراد اقامة الحق وحماية الحجاج، واعلان الجهاد على الكفار، والعمل بما أمر به جده محمد (لح)، واكثر من وعظ اهالي الإسكندرية بعبارات مؤثرة حتى اباهم. ثم اكمل مسيره بالتوجه إلى القاهرة، حيث استقر في قصره الجديد الذي بناه له جوهر وصلى به ركعتي الشكر ثم استقبل اعيان البلاد وتقبل هداياهم وامر بالافراج عن سجناء الإخشيدية والكافوريه.

توجه المعز لدين الله بعد استقراره في القاهرة إلى مكاتبة الحسن الأعصم في محاولة لثنيه عن عزمه في مهاجمة مصر قبل أن يشتبك معه بقتال، لعله ينجح في حمله على العدول عن سياسته المعادية للفاطميين فارسل له كتاب مذكرا اياه ب فضل نفسه وأهل بيته وان دعوة القرامطة كانت له ولآبائه من قبله، وتوعدهم في نهاية الكتاب وهددهم فكان

رد الحسن الأعصم على ذلك الكتاب الطويل الذي بعث به المعز بكتاب موجز يدل على عدم اكترائه بالتهديد بقوله (وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفصيله ونحن سائرون اليك والسلام) واردف كتابه ببيتين من الشعر يقول فيهما:

زعمت رجال العرب اني هبتها فدمي اذا ما بينهم مظلون يامصر إن لم اسق ارضك
من دم يروي ثراك فلا سقاني النيل

زحفت جيوش الاعصم من الرملة الى مصر سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤م وتوغلت قواته بالأراضي المصرية، فقطعوا الطرق ونهبوا القرى وافسدوا المحاصيل" ثم توجهت قواتهم الرئيسية نحو القاهرة، فعسكروا قرب الخندق الذي حفره جوهر، واعدوا العدة لاجتيازه، وكان المصريون آنذاك يتحصنون بسور القاهرة، فاشتد الأمر على المعز الذي لم ينفعه كتابه الى الاعصم وهالة كثرة جيوشه فاستشار اصحاب الرأي، فاشاروا عليه بالسعي لتفريق كلمتهم، فعمد إلى استمالة حسان بن الجراح الطائي وقام بمنحه مائة الف دينار مقابل انسحابه من جيش القرامطة، فاستجاب لطلبه وعاهده على ذلك وعندما وقعت الحرب تفهقر ابن الجراح من المعركة وتبعه جمع كثير من أصحابه، فقويت نفوس المغاربة والمصريين بانسحابه، وثبت الحسن الأعصم وحيدة في الميدان وامام حملات المعز المتلاحقة والتي قادها ولده عبدالله خاف الحسن على حياته، فلاذ بالفرار إلى الشام، فتبعته القوات الفاطمية واسرت من جيشه الف وخمسائة مقاتل .

ولإكمال مسعاه، ارسل المعز وراء القرامطة قائده أبا محمود بن جعفر بن فلاح الكتامين لا دراكهم في بلاد الشام والقضاء عليهم، وكان معه عشرة الآلاف مقاتل، الا انه تثاقل في بلوغ القرمطي خشية المواجهة، فتوجه الأعصم الى الأحساء، مخلفا ورائه أبا المنجا واليا على دمشق .

اتجهت سياسة المعز لدين الله الفاطمي، بعد أن فشل الحسن القرمطي، في الاستيلاء على القاهرة للمرة الثانية، إلى القضاء على ما بقي للقرامطة من نفوذ في بلاد الشام، وتحقيقا لهذا الغرض، رأى المعز أن يستعين بظالم بن موهوب العقيلي، بعد انصرافه عن تأييد الحسن الأعصم، واسند اليه ولاية دمشق سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣م، فدخلها ظالم، وتوطدت سلطته فيها بعد أن قبض على واليها ابي المنجا وولده وجماعة من أصحابه وقام بحبسهم ومصادرة أموالهم، واعاد العقيلي بذلك الفاطميين نفوذهم على بلاد الشام

غير أن الأمور لم تستقم لظالم فما لبث أن عزل في سنة ٣٦٤/٩٧٤ م بسبب عدم قدرته على تكريس الأمن والاستقرار في البلاد نتيجة اشتطاط المغاربة في معاملة الأهالي، مما أدى إلى قيام المواجهة بين الطرفين، فسادت الفوضى والاضطراب ولم يرغب الجانبان بحكم ظالم، فاسند المعز حكم البلاد الى أبا محمود بن جعفر بن فلاح وابن اخته جيش بن الصمصامة لكن الأمور بقيت على حالها من الاضطراب، فبعث المعز إلى ريان الخادم - واليه على طرابلس. وامره بالتوجه الى بلاد الشام ليقف على حقيقة الأمر فيها وليباشر ادارتها بنفسه، فصرف عنها أبا محمود بعد وصوله واعاد الهدوء الى البلاد) لكن ظهور افتكين الشرايبي اربك الامور مرة أخرى، فبعد هروبه من مولاه عز الدولة بختيار البويهى، وصل الى الرحبة ومنها الى حمص ثم قصد دمشق فخرج اليه ظالم بن موهوب العقيلي - الذي عين واليا على بعلبك - ليحول دون تقدمه، لكن استجاده بالحمدانيين الذين لبوا نداءه وامدوه بالجند، فضلا عن مساندة أهالي حمص له، حال دون ذلك فرجع العقيلي الى بعلبك ونزل افتكين بظاهر دمشق، فسأله أهلها البقاء عندهم والنظر في أحوالهم وكانوا قد اطمأنوا له واطمئن لهم فأجابهم الى ذلك وكانت بعض العناصر الثائرة قد كتبت الى افتكين أبان وجوده في حمص يسألونه القدوم إليهم لمساعدتهم في التخلص من الحامية الفاطمية في بلدتهم ميدين استعدادهم لمساعدته في ذلك، فتوجه نحو دمشق وحال دخوله اليها، اخرج واليها ريان الخادم وقطع الخطبة للمعز الفاطمي واقام الخطبة للمطيع العباسي وكان ذلك سنة ٣٩٤ هـ / ٩٧٤ م

أخذ افتكني بعدها يعمل على تثبيت سلطته بدمشق، فقام بإصلاحات ادارية ومالية نالت استحسان الرعية ورضاهم لكنه ظل خائفا من ردة فعل الفاطميين فكتب إلى المعز مظهرا الطاعة والانقياد، فطلب منه المعز الحضور إلى القاهرة والمثول بين يديه، ليعيد توليته على بلاد الشام لكنه رفض الطلب خشية الوقوع في الفخ لاسيما وانه حارب الفاطميين وطرد واليهم فعزم المعز على مقاتلته وجمع العساكر لمناجزته، لكن مرض المعز وموته سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م حال دون ذلك فاستكمل العزيز بالله هذه المهمة

والذي يلاحظ على الدولة الفاطمية والخليفة المعز وعلاقتهم ببلاد الشام انها كانت متوترة وبوسعنا القول ان هذا التوتر كان يعود لفشل القيادة الفاطمية في استيعاب المجتمع الشامي وفشلهم في كسب العناصر القيادية الشامية، فضلا عن أن القوات المتوفرة في الشام كانت غير قادرة على مواجهة الأخطار، لذلك نراها فشلت امام الروم والقرامطة، وهنا

لابد أن نشير ان الفاطميين حين دخلوا إلى الشام لم يقضوا على القوات المعادية لهم هناك، ولم يخوضوا معركة فاصلة تحسم من خلالها الوجود الفاطمي في الشام إذ بقي بنو حمدان والعقيليون وبنو الجراح والروم والقرامطة، يشعلون جذوة التوتر، والذي يمكن ملاحظته أيضا أن دخول الفاطميين إلى الشام قد جر الدولة من موقف المهاجم إلى موقف المدافع، فخلال سنوات بسيطة تمت مهاجمة مصر لمرتين متتاليتين، وكانت أمام خطر محقق تخلصت منه بحسن التدبير من قبل جوهر والمعز وعليه لم يكن قرار دخول الفاطميين إلى بلاد الشام في هذا التاريخ موفقا لا نه كان سريعا وغير مدروسا او مخططا لهم بعكس دخولهم إلى مصر، وربما كانت دوافع المعز للسيطرة على الشام اقوى من تقاوم.

بلاد الحجاز

الحجاز هو أصل العرب والملة، ومركز العصبية، ومقر الحرمين الشريفين لذا بدأ الفاطميون ومنذ عهد المعز لدين الله يهتمون ببسط نفوذهم على هذه البلاد، لعلمهم بان من يسيطر على الحرمين يتمتع بالزعامة الروحية في العالم الإسلامي كافة، وبكسب خلافته قوة أمام العالم الإسلامي من جهة، وأمام الشعوب التي يحكمها من جهة أخرى، فضلا عن أن في هذا الأمر تقليل من شأن الخلافة العباسية، الان امير المؤمنين حقا هو من يستطيع أن يمد نفوذه على هذه البلاد

ونلاحظ من تتبع أخبار المعز لدين الله ان السيطرة على الحرمين الشريفين مكة والمدينة) كانت من أسمى غاياته، فقد ذكر في احدى خطبه بانه سيحج الى بيت الله الحرام ويقف براياته خفاقه في تلك المشاهد العظيمة الا ان المعز لم يتمكن في هذه الفترة من القيام بعمل عسكري في هذه البلاد وذلك لانشغاله بتوطيد نفوذه في بلاد الشام ومواجهة أخطار القرامطة الذين قاموا بمهاجمة مصر لمرتين - كما مر بنا- كما ان العباسيين كانوا حريصين على ضم الحجاز لسيطرتهم، فلم يكن أمام المعز سوء اللجوء الى السياسة لتحقيق مبتغاه، فكان يعطف على العلويين في بلاده.

وخلال السنوات الآتية أخذ الفاطميون بالتوسّع تدريجيًا على حساب القرامطة وباقي الدول الأخرى في المنطقة، فتمكّنوا من انتزاع بلاد الشام في سنة ٣٦٣هـ الموافقة لسنة ٩٧٣م من الحسين بن أحمد القرمطي حاكم القرامطة، وضمّوها حتى مدينة حلب شمالاً

بعد القضاء على دولة الحمدانيين، واستولوا على الحجاز بعد هزيمة أشرافها، فباتت رقعة الدولة الفاطمية ممتدة من المغرب إلى مشارف العراق.

لغت الدولة الفاطمية ذروة عزّها وكمالها في عهد الخليفة الخامس، أبو منصور نزار العزيز بالله، وإليه يُعزى تمكين السيطرة الفاطمية على مصر والشّام، ونشر السلام والرّخاء في مُختلف أرجاء الدولة، التي بلغت في عهده أقصى اتساعها. كان العزيز مسؤولاً عن إرساء الدولة الفاطمية وتشكيل هويّتها، إذ يمكن تشبيه دوره بدور أبي جعفر المنصور في الدولة العبّاسية وقد بدأ عهده في سنة ٣٦٥ هـ الموافقة لسنة ٩٧٥ م. من بين ٢٧٠ سنة تقريباً عاشتها الدولة الفاطمية من صعودها إلى سقوطها، يُعتبر أنّ عصر قوتها الحقيقية استمرّ لنحو ١١٥ سنة منها، بعدها قرابة ٧٠ سنة عاشتها في ازدهارٍ حضاري لكن بضعفٍ سياسي، قبل أن تبدأ بالانحطاط والسقوط.

شهد عهد العزيز إنجازاتٍ إدارية وتنظيمية متنوعة. فقد رُتبت الدواوين بدقّة لتسهيل الإجراءات الإدارية. وأحاط العزيز نفسه بمظاهر الترف وأغدق الأموال على قصوره وممتلكاته. واستحدث منصب الوزراء، فعمل على اختيار رجالٍ كفؤين لشغل هذا المنصب، إلا أنّه اختارهم من الطائفتين اليهودية والنصرانية، لكي لا يكون لهم نفوذٌ كبير يسمح لهم بالانقلاب عليه (وقد كان أولهم وأحد أشهرهم يعقوب بن كلس). (وكذلك عدلّ تركيبة الجيش العرقية، فقد كان الجيش الفاطمي بأكمله تقريباً مؤلفاً من الأمازيغ، فخشى أن يتكاتفوا معاً عليه إذا ما اضطربت الأمور، لذا شكّل جيشاً جديداً خاصاً به من الجنود التّرك والأكراد والسودان، وكلّف هذا الجيش بإدارة معظم ولايات دولته عوضاً عن الجيش الأمازيغي. وقد وقعت نتيجةً لذلك فتنةٌ في الجيش بين المغاربة والأعراف الأخرى. [٨٠] وقد أراد العزيز أن يكون مذهب الدولة الرسمي هو المذهب الإسماعيلي، فعمل على نشره في دولته بكل ما استطاع، وسمح بسبّ صحابة محمّد. [٨٢] شهد عصره بعض الإنجازات العسكرية أيضاً، فقد قاد جوهر الصقلي عدّة حملاتٍ على الشام والعراق، تمكّن خلالها من ضمّ مدن شيزر وحمص وحمّة، بل وقد نجح ببلوغ الموصل وإجبار جوامعها على الدعاء للخليفة الفاطمي لفترةٍ قصيرة. توفي العزيز نتيجة مرض في القولون سنة ٣٨٦ هـ الموافقة لسنة ٩٩٦ م. [٨١]

الحاكم بأمر الله المنصور الفاطمي .

فهو رجل دولة من نوع معين وإن كنت لا أنكر بعض صفاته مثل القساوة في التخلص ممن لا يعجبه سلوكهم - وما ألصق بهذا الرجل من نعوت مشينه هو من أعداء الشيعة والفاطميين خاصة يضاف إليهم بعض المقربين الذين لم يتركهم يسيطرون على مصير هذه الدولة ويسيرونها حسب أهوائهم ، وإلى جانب هؤلاء عدد من العباد الذين ينقلون ما هو معروف عند الناس . على كل بعد قراءة ما كتبه المقرئ خاصة عن الحاكم حاولت تحليله بمنظار معاصر وهو لا يتعدى مجرد محاولة !

وقد اخترت العناصر البارزة في سيرة الحاكم والتي من أجل بعضها وصف الحاكم بالصفات المذكورة أعلاه.

الحاكم - الدولة والموظفون :

توفي العزيز بالله سنة ٩٩٦م تاركا مصير الدولة الفاطمية لطفل لم يتجاوز عمره إحدى عشر سنة ونصف هو ابنه المنصور الذي لقب « بالحاكم بأمر الله » ، وتسلم دولة قوية تقف بنديّة في وجه الدولة العباسية المجاورة وتشمل ولو بصفة نظرية مصر وطرابلس وإفريقية وبلاد الشام ، فيها ينتشر المذهب الشيعي وتلقى الخطبة باسم الفاطميين .

كم من مرة ترد أخبار من هنا وهناك عن الدعوة للفاطميين حتى في بعض المناطق التابعة للعباسيين

دافع الحاكم على مناعة هذه الدولة بالرغم من صغر سنه حيث أخضع له سابقوه الأرض والعباد فلم يبق له إلا أن يواصل سيرتهم بتتبع أخبارها عن كتب وتبادل الهدايا و المراسلات مع ولاته . وبذلك لم يحدث أثناء حكمه ما يهدد استقرار الدولة وأمنها سوى بعض المناوشات مع الروم على الحدود السورية أو ثورات قصيرة في المكان والزمان مثل

ثورة أبي ركة و تمرد قبيلة بني قرة أو استهداف بعض المواطنين إلى هجمات ليلية من طرف اللصوص واختطاف بعض النساء من الشوارع ، أو حدوث فوضى في أسواق مصر نتيجة ارتفاع الأسعار أو اضطرابها بسبب انخفاض مستوى مياه النيل أو وقوع فيضانات مضرّة الخ.

وكان لهذه الدولة جيش قوي بري وبحري يجند أفرادهم ويرسلون على جناح السرعة إلى أي نقطة سخنة من الأراضي الخاضعة للفاطميين . إذن لم يفرط الحاكم خلال حكمه في أي جزء من أراضي هذه الدولة ولم يضعفها أو يترك فيها بذور الضعف لمن يخلفه.

وعند وصوله إلى الحكم وجد الحاكم نفسه بين موظفين وضعوا المساعدة الخليفة على تسيير شؤون الدولة منهم الوزير والمحتسب و قائد الجيش و صاحب الشرطة والقاضي والناظر في المظالم الخ واستطاع بعض الموظفين الجمع بين عدة وظائف في آن واحد.

كان هؤلاء الموظفون أقوياء ركزوا أنفسهم في عهد والده العزيز الذي اشتهر بالكرم والحلم فلم يجد مفرا من مصانعتهم وتقديم الهدايا والخلع وإسناد الألقاب الشرفية لهم و استدعائهم لمصاحبتهم في الاحتفالات المختلفة . ولعله رأى عدم استطاعته فعل أكثر مما فعل خاصة و هو الصغير السن الذي ليست له الحرية في التصرف ولا التجربة التي تمكنه من تسيير الدولة حسب اقتناعاته.

وما أن أحس بقوته ور كز نفسه و اطلع على أسرار موظفيه و عرف نقاط ضعفهم حتى أصبح لا يتسامح ازاء تهاونهم ووقاحتهم وتبذير هم أو حتى أحاديثهم التي يفهم منها عدم رضاهم على الحكم فكان لا يتردد في عزلهم وتصفيتهم جسديا ولو كان ذلك غدرا أحيانا مهما علا مر عزهم في الوظيفة أو كثر أنصارهم

ولعل تصرفه المتصف بالشدة مع موظفيه يعود إلى عقدة احساس بأن من حوله يعتبرونه صغيرا وتحت الوصاية فأراد بالإكثار من التعيين والعزل والاعدام إذا لزم الأمر أن يثبت لهم أنه لم يعد قاصرا و تحت الوصاية بل له القوة وحرية تدبير أمور الدولة.

وان عقدة محاولة اظهار قوته أدت به إلى الإكثار من استعمال القوة والظهور بمظهر السفاح وقد غالى في هذا الموضوع أحيانا ولعله فهم منه أن له قوة خارقة لا يقف في

طريقها أحد ؟ ولعل أمعانه في القتل أدى إلى شعوره بأن أعداءه كثروا فنتج عن ذلك عقدة خوف تجعله يلتجئ إلى تصفية كل من شك فيه ؟....

وكان واعيا بما يفعل و بانعكاسات سياسته على السكان مما يجعله يقوم بحملة توعية لتبرير عمله بعد الأقدام خاصة على قتل موظف هام وذلك باستدعاء الأعيان للقصر وكتابة رسائل أمان وسجلات تقرأ في المساجد أو حتى بالكتابة على الحيطان لغرض تهدئة الخواطر وشرح ما حدث

فالحاكم من النوع الذي يمارس حكما مطلقا وبالتالي يرى أنه لا تقع كبيرة أو صغيرة في دولته إلا ويكون له رأي فيها وهذا ما يدعو إلى سلوك سياسة دموية.....